صافي صافي

بطاقة

من مواليد قرية بيتللو قضاء رام الله في عام ١٩٥٥، حاصل على دكتوراه تربية - فلسفة العلوم من جامعة لاهاي، وله سبع روايات هي «الحاج إسماعيل» الحاصلة على جائزة اتحاد الكتّاب الفلسطينيين عام ١٩٨٩، و«اليسيرة»، «شهاب»، «الصعود ثانية»، «الحلم المسروق»، والكوربة، «سما . ساما، سامية» بالإضافة إلى العديد من الدراسات الأدبية والعلمية.

*** هل يمكن العودة إلى البدايات.. وما هي المؤثرات التي لعبت دوراً في توجهك نحن الرواية تحديداً..؟**

لا أعرف إن كنت أستطيع تحديد البدايات والمؤثرات بالشكل الذي أراه من قبل زملائي. إذ بدأت بكتابة مشروع رواية في بداية الثمانينيات، وكانت بعنوان "الصعود ثانية" (روايتي الثانية نشرتها في العام ١٩٩٤)، كتبت فيها بعض الفصول، إلا أني وجدت أن باستطاعتي نشر قصة قصيرة بالعنوان نفسه، نشرتها في مجلة "الكاتب" المقدسية في منتصف الثمانينيات. وبانخراطي في قراءة رواية "حين تركنا الجسر" للكاتب المرحوم عبد الرحمن منيف وجدت نفسي أكتب رواية أقلده فيها، انتهيت منها، ولم أكن راضياً عنها، فلم أنشرها.

مرض والدي الذي كان يسميه الناس "الحاج إسماعيل". كان مريضاً بالسكري، وطلب منا الأطباء الموافقة على قطع رجله لئلا ينتشر العفن

(الجاجرينا) إلى باقي جسده. رفض أبي الموافقة، وأصر على أن يموت بكامل جسده، أو يعيش به. فوقعنا نحن الأبناء العشرة في ورطة اتخاذ القرار. تناقشنا، وتهاتفنا، وقررنا أن تقطع رجله من أجل أن يعيش. أثناء مرضه، وأثناء وجودي كمرافق لأبي على مدار الليل والنهار وجدت أن موضوع أبي يصلح كرواية، ففيه تاريخ للجيل الذي سبق، جيل النكبة الفلسطينية، والمتمسك بالعودة إلى بلدته الأصلية. بدأت بكتابة الرواية أثناء وجود أبي في المشفى، وكنت قد أنهيتها بشكل أولي قبل وفاته، وكان المتوقع هو ما حدث. رفض قطع رجله، وحين عرف ذلك أصيب بالصدمة، فمات بالجلطة. أعلن حينها اتحاد الكتاب الفلسطينيين عن جوائز أدبية في المجالات المختلفة، وكانت رواية حديثة قد صدرت للروائي الزميل أسعد الأسعد، ووجدت أن روايتي تستطيع المنافسة، ففازت مناصفة معه سنة ١٩٨٩، وتم نشرها في العام ١٩٩٠. وهكذا بدأت كروائي تحتل روايته المركز الأول، في وقت لم يكن للرواية الحديثة الفلسطينية مكان في الأرض المحتلة. لا يمكن القول بأن ما كتبته هو رواية تسجيلية، ففي تلك الفترة كنت أتابع المسلسل المقتبس من ثلاثية نجيب محفوظ، وشخصية "السيد أحمد عبد الجواد" التي تشبه أبي بطريقة ما. اهتممت فقط بالمحطات الأساسية في حياة والدي، لكن شخصية الحاج إسماعيل ليست مطابقة تماماً لما حدث. واجهت الكثير من التشجيع من الزملاء الكتاب، وواجهت الكثير من الضغوط والمقاطعة من الأقارب الذين رأوا فيها مساً بالذي مات، لكنها الرواية الأولى المسجلة باسمي، وأنا سعيد بذلك.

نعم كنت قد قررت منذ البداية، منذ أوائل الثمانينيات أن أصبح روائياً، فاهتماماتي كغيري بدأت في الموضوع السياسي، والانخراط فيه، وكانت البرامج الثقافية هي جزء أساسي من العمل السياسي. انغمست في

متابعتها والاهتمام بها من خلال قراءة الأدب "التقدمي"، ومن العرب عبد الرحمن منيف، وحنا مينا، وغالب هلسا، وغسان كنفاني، وغيرهم. ووجدت أن باستطاعتي عمل مثلهم، بل رحت منذ البداية أقرأ بصورة نقدية، أتمثل الرواية، وأحاول أن أصوغ أحداثها بالصورة التي تناسبني. أبحث في منطقية الأحداث، وتسلسلها، ومدى تسرب الخرافة والميثولوجيا والقصص الشعبي لتجعلها أكثر جمالا.

*** الآن.. وبعد سبع روايات جميلة.. هل يمكن الحديث عن "مشروع روائي" واضح الملامح للروائي صافي صافي أم أننا ما زلنا نتحدث عن روايات متفرقة يجمعها الموضوع الفلسطيني..؟**

ربما يكون واضح الملامح، وإن كانت المواضيع مختلفة. المشروع الروائي ليس تسجيلاً لأحداث هنا وهناك فقط، وليس إدخال العقلية الميثولوجية والتراثية فقط، وليس محاكاة الممكن وغير الممكن فقط، وليس إضفاء صفة الجمالية في لوحة العمل الأدبي فقط، وليس إحداث المتعة لدى القارئ فقط، وليس الالتصاق بقضايا الشعب الذي تنتمي إليه فقط. إنه أكبر من ذلك بكثير على حد ما يقوُلُه أعمدة مدرسة "الجشتالت" التربوية.

إن الإطار الذي يجمع رواياتي؛ كما أعتقد: هو إنني أحاول أن أتناول المواضيع الروائية والطريقة السردية، بشكل يعمل على تطوير القدرة النقدية لدى القارئ، ليرى ما لا يُرى، ليرى ما لا يراه الناس العاديين. إنه محاولة للكشف عن خوازن النفس أو الأحداث لتعمل على تحفيز القارئ للتغيُر والتغيير الفكري. صحيح أن هناك من يرى أن قضية بلدتي الأصلية "بيت نبالا" التي تم تهجير أهلها في العام ١٩٤٨ حاضرة، وإن لم أعش فيها. وصحيح أن هناك من يرى أنني أمتلك ثقافة

الفقراء والطبقات الشعبية بين اللاجئين، وفي القرية، وفي المخيم، وفي أحياء المدينة. إلا أنني أحمل قضية، ودوري هو تغيير طريقة النظر للأمور التي أتناولها، وفي هذا لا تهمني وجهة النظر السائدة، بل أحاربها، ولا تهمني وجهة نظر الزعماء السياسيين، فأنا لست منهم. أنا أنتمي لأقلية فكرية وبأغلبية ضمير شعب. هذه الأقلية القابضة على الجمر متمسكةً بالقضايا الأساسية، فنحن كمثقفين، وكأمانة عامة لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، مثل الذين بقوا مرابطين على "جبل أحد"، لم ينزاحوا عن الجبل، ولم تهمهم الغنائم ولا تقاسمها.

في هذه الحالة، لا يهم ما هو الموضوع الذي تتناوله، بل ما هو موقفك من الحياة، وما هو موقفك من القضايا الوجودية، وأية قضايا تطرح.

*** إلى أي مدى كانت السيرة الذاتية حاضرة في روايتك الأولى "الحاج إسماعيل"..؟**

سبق وأن أشرت إلى الظروف التي كتبت فيها الحاج إسماعيل، لكني كنت واعياً إلى أنني أكتب عملاً أدبياً فنياً، وليس رواية تسجيلية. إنني لم أكن معنياً بأن أكتب تاريخ أبي، لقد كان الموضوع مثيراً في قضايا عديدة، منها صراع الأجيال واختلاف رؤاهم، وهذا الرجل الذي يرفض أن يقطع أي جزء منه حتى لو مات، ودور العائلة كمكون أساسي في المجتمع الشرقي. لقد حاولت طرح قضايا وجودية، وما الذي كان يحدث إلا نواة للعمل الأدبي ليس إلا. ويكفي أن أرى بعض ما كتب عنها ليوضح ما وددت قوله.

أعتقد أن كل الأعمال الأدبية هي بشكل أو بآخر سيرة ذاتية ليست تسجيلية، فهي تكمن هناك في الذهن، في المجتمع الذي أنت جزء منه،

obeikandl.com

في مخيلتك، في طموحاتك، وأحلامك. ولو لم يكن الموضوع مهماً من وجهة نظرك كفرد لما كتبت فيه وعنه. لقد سبقني المرحوم حسين البرغوثي الذي قال: إن الأنا ما هي إلا شبكة العلاقات مع الآخرين ومع الذات. إن الكاتب لا يكتب عن الأنا الفردية وإلا تم تصنيف عمله ضمن مجال آخر، كما أن الهدف هو إثارة قضايا تحث على التفكير في قضايا ربما يراها الآخرون للوهلة الأولى ثانوية، فيكتشف أن هناك عالماً له سياقه ومتطلباته. وهكذا العمل الروائي، الذي من الضرورة الإجابة من خلال الشروع في كتابته على أسئلة: ما هو الموضوع الذي تكتب فيه؟ بأية وسيلة تود أن تكتب؟ ما أثر هذه الكتابة على المجتمع؟ هل تدفع المجتمع لتناول القضايا بشكل مختلف..؟

*** تناولت في هذه الرواية مسألة صراع الأجيال في فلسطين.. والآن ونحن نرى مايفعل الجيل الجديد في عصر الربيع العربي، هل ترى أنك قد أنصفت " الجيل الثالث " كما تحب أنْ تسميه..؟**

في الحاج إسماعيل، يكون الأب وهو الذي ولد في أواخر العصر العثماني، وعايش الاحتلال الانجليزي، والنكبة، والنكسة، ما زال متمسكاً بالمبادئ الأولى كما هي، وهو على حق، لكن أبناءه الذين راحوا وجاءوا في العالم، يحملون أفكاراً مختلفة، مختلفة في طريقة التناول والتعامل مع القضايا المحلية، لكنها لا تختلف مع الأب في الجوهر. رفض الحاج إسماعيل قطع رجله، لكن الأبناء تدارسوا الموضوع ووجدوا أن هذا التفكير بهذه الصورة يوصله إلى الموت، فاعتقدوا أنه يمكنهم أن يطيلوا حياة أبيهم من خلال التخلص من هذا الجزء المتعفن من جسده. كانوا بشكل ما "براغماتيين"، ونيتهم في ذلك حياة أبيهم، فكانت الصدمة لهم حين نفذوا القرار الجماعي بالتوقيع على الوثيقة التي تفوض الطبيب بإجراء العملية، عانى أبوهم من حالة نفسية

أفقدته توازنه وعقله، يصحو ويغفو ويتأمل في رجله، فمات. إن نتيجة قرار الأبناء هو موت الأب وليس الحياة، وهذا سؤال وجودي. الآن أفكر بشكل عميق: لماذا لم يستطيعوا فهم عقلية أبيهم؟ لماذا اعتقدوا أن أباهم سيعيش بقرارهم هذا؟ لماذا يقرر الأبناء في مصير آبائهم دون أن يتركوا لهم الحرية؟ لماذا يجب أن يكون الجيل الجديد براغماتي، وينسى المبادئ الأساسية.

إن المشكلة الأساسية ليست التفكير المختلف للجيل الجديد، ولكن مدى ارتباط هذا التفكير بالأصول، بشكل لا يميت التراث والهوية، بشكل لا يشكل حالة خطر على الأصول. والموت مأساة، وإن كانت تحمل معاني دينية بشكل مختلف، فأفعالنا بشكل عام هي من أجل الحياة، وليس من أجل الموت. حتى العبادات التي يقوم بها الأفراد هي من أجل الحياة في عالم آخر. إنني بقدر ما أتفهم الجيل الجديد، فإني أخشى من انفصاله عن الأصول، وتنحرف البوصلة. إن العنفوان والتحدي الذي يحمله الجيل الجديد يجب احترامه وتشجيعه، ولكن ضمن رؤية مجتمعية محلية. إن التربية والثقافة تلعب دوراً أساسياً في هذا المجال.

*** يرى بعضهم انك " قسوت " بعض الشيء على المثقف الفلسطيني في روايتك الأخيرة " سما، ساما، سامية " حين قدمته بأفكار مشوّشة، سواء على صعيد علاقات الحب والصداقة أم في ما يتعلّق بالمشهد الثقافي والسياسي..ماردك.. وبالتالي ماهي أولويات المثقف الفلسطيني في هذه المرحلة..؟**

إننا ككتاب نقوم بعمل فني، ووظيفتنا أن نطرح القضايا الهامة سواء أكانت في المتن أو الهامش لتطفو على السطح. أي مثقف نقصد؟ هل المثقف الثوري أم المثقف العادي؟ إن المثقفين ليسوا كتلة واحدة ولا حالة

واحدة، هناك من المثقفين ما زالوا قابضين على الجمر، ينحازون للقضايا الأساسية، وهناك مثقفون ينحرفون نحو القضايا الهامشية التي تخصهم. هل يمكن القول بأن المثقف الذي يحمل قضية، ولديه الاستعداد للتضحية بنفسه، كالمثقف الذي بات يجري وراء جمع الأموال والمراكز؟ بالطبع لا. هناك مثقفون يعتقدون أن استمرارهم بالقراءة والكتابة يلحقهم بهذا المصطلح، وهناك المثقفون الذين يشبهون المرابطين على جبل أحد في وقت نزل الباقي يجمعون الغنائم.

إن الشعارات السياسية والمراحل السياسية متغيرة، وتبقى الثقافة كحارسة على كل جوانب الحياة. على المثقف أن لا يكون سياسياً، لا تهمه الشعارات اليومية إلا في إطار النقد بمعيارية الأسس الثقافية على المدى البعيد، وإلا وقع في شرك المتغير اليومي. إن على المثقف ألا يجرى وراء الإغراءات اليومية والمرحلية، وأن يذكر الآخرين بالمبادئ التي تخدم الشعب ككل. عليه أن يرى الأمور اليومية عن بعد، من نقطة يستطيع أن يقيّم اتجاه هذه الحركة. إن ما أقوله يشبه النظر إلى شعار "الطاوية" (سمكتين سوداء وبيضاء تدوران حول بعضهما). إن مجرد الحركة لا يدل بالضرورة على الانجاز. يجب أن نصعد إلى نقطة أعلى ونرى فائدة هذه الحركة. إننا بحاجة للتأمل فيما نقوم به، وما يقوم به الآخرون، وتكون لدينا نظرة ثاقبة نقدية لما يجري. هذا هو دور المثقف والتربوي، والعامل وكل البشر.

بعد أوسلو وقيام السلطة الوطنية انغمس الكثير من المثقفين في الوظائف الوزارية أو في المنظمات غير الحكومية، وبات المحرك الأساسي لعملهم هو المصلحة الذاتية لتعلو على مصالح الشعب، والرؤية الكلية (حسب مدرسة الجشتالت). الصورة الكلية هي الأهم، وتبقى التفاصيل مجرد أجزاء لا تكمل بالضرورة الصورة.

obeikandi.com

إن لهؤلاء المثقفين قضايا تخصهم، مثل موضوع العلاقة بين الصداقة والحب بين الجنسين. ولقد سعدت قبل أشهر وأنا أقرأ روايات تتناول الموضوع نفسه، وإن كانت تغوص بشكل مؤذٍ لي في موضوع النظر للجنس، فما الصداقة لهؤلاء إلا غطاء. إن المثقف في رواية "سما، ساما، سامية" هو مجرد إنسان يحمل شعارات في رأسه، ولا يستطيع الدفاع عن هذه الشعارات، فأصبح عاجزاً عن الدفاع عن المرأة وعن نفسه. إنها أزمة المثقف الذي يحاول أن يقنع نفسه بأنه يعمل، فلا يستطيع.

يجب على المثقف أن ينأى عن السياسي بالشكل المباشر، وأن يجعل قضيته السياسية متطابقة مع رؤيته الثقافية، وليس هناك انعزال بين ما يقوله الإنسان وما يقوم به. وتبقى الأسئلة الأساسية في الذهن: ما الذي نعمل على تغييره في الفكر الإنساني، ولأي غرض؟ وبأي اتجاه..؟

*** لعل من أكثر الإشكاليات المطروحة هي علاقة المثقف مع السلطة السياسية.. كيف تراها..؟**

أنا مثقف..يكون دوري بفهم هذا المجتمع بقدر الإمكان، وتطلعاته وآماله، وأن أكون عامل تغيير له نحو التقدم والحرية والانفتاح واحترام رأي الآخرين، وإن اختلفت معهم في إطار المصلحة الوطنية الفلسطينية التي لا تتعارض مع الثوابت البعيدة للشعب. أنا دوري أن أحمل قضيتي العامة، وأدافع عنها، حتى لو كان ثمن التضحية كبيراً.

*** في ذات الرواية، وبعكس العديد من أقرانك، أعطيت المرأة دورا أساسيا. سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي وحتى على الصعيد الإنساني..؟**

أعتقد أن للمرأة دور أكثر أهمية من الرجل، ليس فقط من خلال علاقاتها بأبنائها وبالمجتمع، وإنما هي أكثر انفتاحاً من الرجل الذي

يسعى دائماً للإمساك بالسلطة لأنها تخدمه. وحتى لا أعمم، فأمي هي التي كانت تسمح لنا ما لا يسمح به أبي، وإذا أخطأنا فإنها تتفهمنا أكثر، وهي الحريصة على السلوك المستقبلي، وليس معاقبتنا على ما اقترفناه. إن المرأة تحاول أن تعوض ما عاناه جيلها من خلال أبنائها. هي تود التغيير، وتعمل عليه، بينما الآباء يودون الحفاظ على ما اكتسبوه من جاه وسلطة. إنني لا أحاول أن أعطي للمرأة ما لا تستحق، أو أن أنسج أحلاماً ليست واقعية، بل أحاول أن أرسم ما أراه. إن المرأة أكثر إنسانية من الرجل، ولديها ذاكرة قصصية (تبرير ما يحدث) بعكس الرجل الذي يحمل مقولات مجردة يمكن أن تسقط عند أول اختبار. ألا ترون أن هناك فروقاً حين يتحدث الواحد منا عن تجربته ومن خلالها مقارنة بالشعارات التي يحملها البعض دون حشوة مقنعة. إن المرأة تقف عند التفاصيل، وتدور حولها، ليصبح لما تقوله معنى، بينما يلجأ الرجل إلى طرح مقولات مختصرة، تتناول الموضوع من فوق. إن المرآة تحمل في داخلها مشروع راوية من الطراز الأول، بينما يميل الرجل إلى الخطابات والمقولات القاطعة المانعة.

في رواية "سما، ساما، سامية"، تجد سامية نفسها وحيدة عند أول منعطف، يتم طلاقها دون أن يستطيع "المثقف" عمل شيء. تقرر أن تبحث عن ما يحقق لها ذاتها، وتتعرف على تجارب الآخرين، وترى ما لا يستطيع الرجل رؤيته. ليس فقط في اللوحة (ألوان قوس قزح)، وإنما أيضاً في الحياة، ويبقى العقلانيون يسألون الأسئلة العقلانية. هل نحن في الوضع الفلسطيني نعيش حالة عقلانية؟ إذا كان الجواب لا، فلماذا يجب علينا أن نظل نفكر ضمن نفس الإطار الفكري نفسه؟ لقد عاشت "سامية" تجربة جنوب إفريقيا، وترى أنها حالة لا بد من التفكير فيها، بدل حالة الضياع في اليومي الذي لا يوصل إلى شيء.

ت ❊... في روا ـ❊ ـيراً ـ ا ـ ارات ا ـ ا ـ.. ـ.. ـ ـ ـ..ت و ـبر
ـ ازع ا... ا... ـ ـ... و ـ.. و ـ ـ... ـ ـ ا ـ ـ ا
ا ـ ا.... ـ ـين ا ـ ـص وا ـ ـم و ـين ا... ـ والا ... ـ في
أ ؟..

أليس هذا هو دور الروائي؟ إن مناجاة الذات، وكشف ما يجري في الأعماق هو دور الروائي، الوقوف عند التفاصيل، وإلا تحولنا لنصبح كتاب بيانات سياسية أو اجتماعية، وهذا ليس دورنا. هذا أمر لا يخصني أنا فقط، فالعديد من الكتاب الكبار يفعلون ذلك، ولهذا نجحوا.

ت ـ ـءت ا ـ ارات ـ ـ ـ في روا ـ.. الأ ـيرة و ـ ـ أ ـ ب إلى ا ـ..
ا إلى ا وا .. ن ا دا.. و ذا..؟

لقد لامني بعضهم على كم الحوار في رواية "سما، ساما، سامية"، لكن إلا يبدو ذلك منسجماً مع موضوع الرواية، وتوفر شبكات التواصل الاجتماعي الحديثة.

مرة أخرى، فإن المرأة قادرة على الحوار، وقادرة على قول أشياء عميقة ببساطة، وفي ما كتبته هو محاولة تقليد لما تكتبه المرأة، أليس كذلك..؟

أليست الحوارات هي بين رجل وامرأة؟ ألا يبدو أن هذا الشكل هو انعكاس لما يحدث في الداخل الإنساني؟ ألا يعتبر ذلك انعكاساً لرؤية الكاتب لدور كل من الرجل والمرأة في التغيير الاجتماعي؟ إن الموضوع الذي تتناول هو الذي يفرض عليك اختيار الشكل المناسب لتقول ما تود قوله.

ت ـ ـ ف ـ أ ـ ـ ـ ..ـ ـت في روا ـ "ا ـيرة" إلى ا ـ ـ ـ ام
الأ ـ ـ رة.. وا ـ.. ـ... ـ ـ إنّ ـ ه ا ـ وا ـ ـ ـ ـ ـو ـ ـ... ء
أ رة ؟..

obeikandi.com

رداً على قول المرحوم د. عبد اللطيف البرغوثي بأن ليس هناك من أسطورة فلسطينية، وإن كنا ضمن أساطير منطقة الشرق وبلاد الشام بالتحديد، فلقد حاولت أن أصوغ أسطورة بنكهة روائية، فكانت أن انصرفت إلى قراءة الأساطير العالمية، والحكايات الشعبية التي وجدت فيها سحراً، وهي تشكل جزءاً من عالمي الطفولي، وقرأت التاريخ والفلسفة، وحكايات الأولين العربية والمحلية. أتذكر أنني قرأت مئات الكتب. ووجدت أن تكون أسطورتي هي المفاتيح التي تبدأ بالتكوين (التوراتية) وتنتهي بإعادة التكوين. أما نحن الآن فإننا نعيش في المفتاح العاشر، الذي يقابله الباب العاشر الذي بدأت به الرواية، وكانت المفاتيح "ملحقاً". إن الباب العاشر هو باب الهزيمة، باب النكوص، باب هزيمة الذات، وبشرت بالباب التالي الذي يحاول الشعب أن يستعيد فيه هويته وثورته، وربما تكون "الانتفاضات الشعبية العربية" هي بداية الباب الحادي عشر، لينتهي التاريخ في الباب الثاني عشر، وتعاد دورة الحياة مرة أخرى. في هذا السياق فإن كل رواياتي ربما تقع في الباب العاشر سواء كنت متنبهاً لذلك أم لا، فأكملت بعدها رواية "شهاب" التي تعد استكمالا لليسيرة، فالشخصيات مختلطة، وإن كانت تركز على جانب آخر كان هامشياً في اليسيرة.

أعتقد أن اليسيرة كانت علامة من الأثر الذي سأتركه لما بذلت في ذلك من جهد، ولما لاقت من ردود فعل. وأشعر بالرضى حين استمع لآراء العديد من الزملاء والقراء، بأن البناء كان مناسباً، وجذاباً وله معنى ليس فقط في المرحلة الحالية وإنما على المدى البعيد.

*** استوقفني اسم رواية الكوربة.. ومن ثم قولك بان الكوربة هي " نكسة شعب "..؟**

الكوربة، هي المنحنى، وربما هي ترجمة عامية لكلمة "curve" الانجليزية، لكني لم أجد كلمة فصحى تعبر عما حدث في العام ١٩٦٧،

رغم أن هناك العديد من الكتاب سجلوا روايات تتناول الموضوع نفسه، كما فعل إميل حبيبي مثلاً (سداسية الأيام الستة)، لكني في هذه الرواية أتناول الحرب من وجهة نظر تجاوز العقد الأول من عمره، ويحاول أن يفهم ما يجري. إن ما جرى في تلك القرية "بيتللو/ قضاء رام الله" هو قصة الدبابة والمدفع الذي تعلقت به أحلام اللاجئين وغيرهم بقدرته على الفعل وتدمير "إسرائيل" ليتمكن الناس من العودة إلى قراهم الأصلية، وتنتهي بذلك المأساة. تعلقت أحلام الناس بالمدفع وبخطابات الزعماء في تلك الفترة، لكن المدفع لم يطلق ما يشفي الغليل، عادت الدبابة تجر مدفعها، وسقطت عند الكوربة. بدل أن تتجه غرباً، رأيناها تعود فتسقط، ويستشهد بعض طاقمها. إن سقوطها هو سقوط لأحلام الجيل اللاحق المتمثل بالفتى، الذي سيقضي عمره بعد ذلك في محاولة الخلاص. ستبذل فيما بعد حياة أجيال دون القدرة على تغيير الواقع، والأسباب هي في الدبابة والمدفع اللذين لم يقوما بدورهما كما يجب. إنها نكسة شعب، وإن كان هذا المصطلح من صناعة الأنظمة التي سقطت معنوياً هي الأخرى.

*** بالتالي إلى أي مدى يستطيع الكاتب أن يكون حياديا في تسيير شخصيات روايته..؟**

دعنا نفرّق بين حيادية الكاتب، وحياديته في تسيير شخصيات الرواية.

في الأولى ليس هناك إنسان محايد، حتى العلماء ليسوا محايدين، بل هم جزء من البنية الثقافية الاجتماعية في مجتمعاتهم. ليس هناك موضوعية حتى في العلم البحت. هناك تحيز، وليس هناك إنسانية، بل هناك إنسان هندي وياباني وأمريكي، وإنسان عربي. حتى الإنسان العربي ليس هو نفسه، فكل إنسان يحمل رؤيته وفق مصالحه، ووظيفة الكاتب أن يقف

إلى جانب الذين يتحيز إليهم. أنا أتحيز لهؤلاء الذين لا يسمع صوتهم. أتحيز إلى جانب اللاجئين الذين ما زالوا يعيشون في المخيمات. لا يعني ذلك أني أتبنى وجهة نظرهم من الحياة، فهم جزء منها، بل أتحيز إلى جانب قضيتهم حتى لو كانوا غير واعين لها. أكتب عنهم بوعيي أنا، وبفهمي أنا، وبرؤيتي أنا. وهذا هو موقفي الذي أتبناه، وأحاول أن أعكسه في رواياتي.

أما تسيير الأشخاص، فتلك مصيبة. أن تكتب رواية وأنت ترغم الشخصيات على إتباع سلوكيات غير منطقية، فلا يصبح العمل فنياً. يجب أن يكون هناك منطق في السلوك وإن كان على شكل حديث. لا أعتقد أني حاولت تطويع شخصيات لتكون شبيهة بوجهة نظري. هناك بعض الانتقادات بهذا المعنى حول شخصية الفتى في رواية الكوربة التي اعتقد البعض بأنها تسأل أسئلة وجودية "كبيرة". لكن ألا تظنون بأن هذه المرحلة هي مرحلة الانتقال من القضايا المحسوسة إلى القضايا المجردة (حسب وجهة نظر العالم التربوي "بياجيه")؟ وألا تعتقدون بأن الأزمات/ الصدمات هي التي توفر بيئة النضوج المبكر لدى الإنسان؟ إننا ما زلنا نذكر هذه الحياة التي شكلت وعينا، وصنعت هويتنا. أليس كذلك..؟

*** تناولت في رواية (الحلم المسروق) تفاصيل الانتفاضة من اعتقالات وإضرابات وغيرها.. وسؤالي كيف ترى تناول الأدباء الفلسطينيين لهذا الحدث الكبير.. وهل استطاعوا فعلا تقديم عمل يتناسب مع الانتفاضة..؟**

لم يتم إشباع أي حدث كبير (النكبة، النكسة، الانتفاضات، ..الخ) بشكل يمكن القول بأننا أنهيناه. كتبوا وكتبت عن الانتفاضة الأولى والثانية، وما زالت هناك العديد من القضايا التي لم يتم تناولها. في

الانتفاضة الأولى، لم يكتب عن دورها في انخراط الناس في الفعل، ولا عن دورهم في التآزر الاجتماعي، ولا عن دورهم في استصلاح الأراضي، ومحاولتهم في بناء اقتصاد بيتي، ولا عن دور القيادة الموحدة، والصراع بين الأطراف. لم تظهر القضايا الكبيرة التي تجمع الناس، ولم تظهر القضايا الجانبية التي أرهقت الناس. كتب العديد من الروائيين عن الموضوع، لكننا ما زلنا نعيش على ذكراها من جهة، ومن ألمها من جهة أخرى، فما صنعته الانتفاضة على المستوى السياسي في النهاية، ولم يكن بحجم المأمول، خبنا في المستوى الاجتماعي، فالعشائرية تغلغلت من خلالها، وتبييض صفحات من كانوا يسيئون لقضايا الشعب، وظهر الدين كعامل أساسي في التغيير على هامش منظمة التحرير. لم نفعل الكثير على المستوى الروائي، وما زال المجال مفتوحاً لكتابات أخرى.

إن ما تناولته في الحلم المسروق هو قصة ذلك الشاب الذي يتم معاقبته بالطرد، لاتهامه بتوزيع منشور للقيادة الوطنية الموحدة، ولم تفلح كل القيادات الوطنية التي كانت تسيطر على الشارع تماماً في رد الاعتبار له. أليست هذه قضية؟ وما هي القضايا الأخرى؟ إنها كثيرة.

*** في ذات الرواية (الحلم المسروق) لجأت إلى شكل جديد بحيث كان هناك أربع لغات مختلفة وكل فصل يبدأ بصفحات مستقلة من ١-٣٠ مثلا والفصل الذي يليه يبدآ من ١ لا يبدأ من حيث انتهى الفصل الذي قبله. وكل فصل يتحدث بلغة تختلف عن الفصل الآخر..لماذا..؟**

لقد استهوتني تجربة أن أظهر أصوات مختلفة. كان الموضوع جديداً بالنسبة لي، وربما نجحت في ذلك. إن الأصوات الأربعة هي تمثيل

للرباعيات المعروفة في الطبيعة وفي الناس. أما في الانتفاضة، فلقد كانت أطراف القيادة الوطنية الموحدة مكونة من أربعة أطراف، كل طرف له أجندته الخاصة، لكنهم موحدين ضمن الكتاب نفسه. وفي هذا محاكاة لما يجري في الواقع، لكننا نجد أن الفصول ليست متساوية، وليست بالوزن نفسه. إنها الحياة الفلسطينية، وإن استبعدت أطرافاً أخرى كان لها فعاليات مهمة. القيادة الموحدة هي مجرد اختصار للمجتمع، والاختصار يعني نسيان الباقي، فأدت إلى النتيجة التي نعرفها جميعاً.

* **رغم تمكنك من اللغة وتطويعها، وسلاسة السرد في أعمالك، يشير بعض النقاد إلى اختلاف اللغة في أعمالك من رواية إلى أخرى.. وبالتالي صعوبة معرفة إن هذه الرواية لـ صافي صافي..بعكس بعض الروائيين.. هل ترى هذا نقدا أم مديحا..؟**

هذا ما أحاول القيام به، ففي كل مرة أجدد قراءاتي، وأحاول البحث عن شكل جديد للكتابة. أحاول أن أبحث عن رواية تخلدني. ويستغرقني الخلاص من بيئة الرواية التي سبقت سنوات، في السنة الأولى أحاول أن أرصد رد فعل القراء، وفي التي بعدها أبدأ بالقراءة المعمقة، وأبحث عن موضوع يمكن تناوله. هناك العديد من المواضيع التي يمكن أن أتناولها بشكل روائي. هناك العديد من الروايات في ذهني، ولو كنت متفرغاً لأنتجت الكثير، لكني استغرب من هؤلاء الذين يكتبون كل سنة رواية أو أكثر. إنهم لا يتغيرون. إنهم فقط يسجلون أحداثاً دون عمق، وباللغة نفسها، حتى يصل بك الأمر إلى صعوبة التفريق بين الأحداث في هذه الرواية وتلك، أو بين الكاتب ككاتب والكاتب كفرد. أحاول أنا أن أشكل في كتاباتي، ولا أدّعي أنني نجحت. إذا كان ما تقوله هو الواقع في رواياتي فأنا فخور بذلك.

*** يلعب المكان.. أيضا، دورا ملحوظا في معظم أعمالك الروائية.. هل لأنها فلسطين..؟**

الإنسان يكتب من خلال بيئته، فأنا ابن أسرة تم تهجيرها من بلدة بيت نبالا/ قضاء اللد، وولدت وسكنت بعض سنين في قرية بيتللو قضاء رام الله، وسكنت مخيم قدورة بضعة أشهر، وأسكن مدينة رام الله. إن هذه المناطق هي عالمي الروائي، بانتمائه للوطن كله. قضيت بعض الفترات في الوطن العربي، وزرت العديد من الدول، إلا أن عالمي هو هنا، هو فلسطين التي أعرفها في الواقع وفي ذهني، وهذا المكان واسع باتساع العالم كله.

*** تطرقت في (الحلم المسروق) إلى السلام الذي يحاول الإسرائيلي ون فرضه على العرب.. وسؤالي إلي أين وصلوا في محاولتهم تلك برأيك..؟**

إنها مرحلة، مرحلة حشد "قوى السلام" مع المطلب الفلسطيني في الانتفاضة الأولى، لكن المثقفين الإسرائيلي ن ليسوا بمعزل عن الثقافة الإسرائيلية. إسرائيل التي ما زالت ترى في قوتها العسكرية حزاماً لأمنها، التي ترى في انتمائها التوراتي هويتها، التي تعتقد بتفوق عرقها. هل يمكن للإنسان إلا أن يكون ابن بيئته. هذه بيئتهم. إن المفاوضات، والأحاديث الشخصية والنكات التي يمكن أن تلقى بين الناس لا يمكن عزلها عن موازين القوى. نحن نحمل قضية عادلة، ولا يكفي الاقتناع الفكري بقضيتك لنجاحها.

لا أعتقد أن الحديث مع الإسرائيلي ن سيوصلنا إلى نتيجة عادلة، فالمسائل السياسية هي امتداد للواقع، ولن يكون بالتأكيد الركون على تعاطف الآخرين معنا سبباً في تحررنا. إن الحوار معهم وصل إلى طريق مسدود، ولن يكون إلا كذلك في ظل موازين قوى كالذي نراه ونلمسه.

obeikandi.com

إنهم يعتقدون بأن هذه الثكنة العسكرية كفيلة بالحفاظ على دولتهم وأمنهم. إنهم مجرد أغبياء لا يقرأون المستقبل، وهم من النوع الذي يعالج ظاهر المرض ولا يرون أسبابه، وليس هدفنا إقناعهم.

* **اعتبر بعضهم أنَّ روايتك " اليسيرة "..هي من أهم أعمالك وهي الرواية الأكثر أهمية والأكثر تعقيدا فيما كتبت.. ولاسيما على صعيد التكنيك الروائي..فيما يرى بعضهم الآخر أنَّ روايتك الأخيرة " سما، ساما، سامية ".. هي الأهم والأكثر نضجا في تجربتك الروائية.. ما رأيك أنت..وهل ترى بالتالي أنّ النقد قد أنصف تجربتك الإبداعية..؟**

"اليسيرة" رواية مهمة كما أسلفت، و "سما، ساما، سامية" رواية حديثة في التقنيات وفي الأحداث. وهناك من رأى في العناوين الأخرى علامة من علاماتي، فليكن.

أنا أحاول، وسأظل أحاول أن أكتب روايتي القادمة، لتكون الأهم والأكثر نضجاً.

كتب العديد من الدارسين والنقاد حول رواياتي عبر المجلات والجرائد في فلسطين وفي العالم العربي، وهناك رسالة ماجستير قام بها الزميل نبيل عقيلان تحت عنوان "صافي صافي روائياً"، وهناك العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه التي شكلت فيها رواياتي جزءاً مهما. لا أعرف مدى رضائي، لكني كرست نفسي كروائي، وما زلت أكتب، وأحاول تطوير نفسي.

* **هل يمكن القول بوجود رواية فلسطينية..وما هي سمات هذه الرواية إنْ وجدت..؟**

نعم، وهذا ما أحدثه جيلي، فقبل الانتفاضة ١٩٨٧، لم يكن هناك ظاهرة روائية رغم أن بعضهم أنجز بعض الروايات، لكن العمل الروائي وفي المسابقة التي أعلن عنها اتحاد الكتاب في ١٩٨٩، تقدم العديد بمشاريع روائية منها ما هو منشور، ومنها ما هو مخطوط، وتتالت بعدها الروايات، بحيث أمكن القول أن هناك روايات وهناك روائيين. فالأسماء نفسها تكررت بصدور روايات متتابعة.

لا أعتقد أني أستطيع تحديد سمات الرواية الفلسطينية، لكن يمكن القول بالإضافة للموضوع الفلسطيني، فهناك سمات أخرى. أعتقد أن إميل حبيبي هو من رواد الرواية الفلسطينية، وهذا لا يقلل من الذين سبقوا كغسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا. وما ميّز روايات إميل حبيبي هو مزج السخرية بالجد (وهذا يلائم الواقع المأساوي الذي عاشه الفلسطينيون في الداخل، واستطاع مزج الأسطورة بالواقع (وهذا يلائم الحياة الفلسطينية أيضاً، فلا يكفي الواقع لتحليل ما يجري، أو لتوقع ما سيحدث). وأثبت الروائي الفلسطيني أنه باستطاعته المزج بين اللغة العامة والفصحى. إن عامل الصدمة/ المفاجأة في بدايات الروايات أو نهاياتها هو ميزة أخرى (ربما هذه ميزة عامة)، والإصرار على التغيير والجدل، وعرض وجهات نظر مختلفة وتقبل الآخر (منسجماً مع الحرية الفردية النسبية التي يعيشها الفلسطيني)، ودور الأفراد في الجماعة (الأنا من خلال الآخرين). وإعادة قراءة التاريخ ونقده. ربما

*** بالتالي كيف ترى المشهد الروائي في الداخل الفلسطيني (الضفة والقطاع وأراضي الـ ٤٨).. وكيف تقارنه مع المشهد في الشتات..؟**

أستطيع القول بأن المشهد الروائي في الداخل له مكانه مقارنة مع الماضي (قبل الانتفاضة الأولى) إذ كنا نقرأ فقط الروايات التي تنشر في الخارج، لكني لا أستطيع أن أضع لكل جانب وزناً لمقارنتها.

ربما تكون الفروق في ظروف النشر، فمع أن هناك دور نشر جديدة، ونشطت دور نشر محلية بعد إنشاء السلطة الفلسطينية، إلا أن الإمكانات ما زالت محدودة، ولهذا تجد بعضنا يخترق الحدود وينشر في الخارج، ليس فقط من أجل الانتشار ولكن لأجل التعامل مع دور نشر لها سمعتها. ليس هناك دعم كافٍ لدور النشر هذه، وإن بيع المنتجات الثقافية ما زال ضعيفاً، فهو غير مجد اقتصادياً، ولهذا يجب دعمه، وإنشاء دار نشر وطنية، بالإضافة لدور النشر الخاصة، والشعبية.

*** ما هي العقبات التي تواجه الأدباء والكتاب في الداخل الفلسطيني..سواء على صعيد النشر أو التوزيع..؟**

العقبة الأولى هي عدم وجود قانون حماية الملكية الفكرية وإقراره بالشكل النهائي، ورغم العديد من الورشات التي عقدت، إلا أن المشروع لم يتم الانتهاء منه.

العقبة الثانية هي عدم وجود دار نشر وطنية عامة، وتصبح العروض متعلقة بإمكانات كل مؤسسة نشر وبرامجها.

العقبة الثالثة هي عدم وجود دعم كاف لمؤسسات النشر المحلية، حيث أنه ليس هناك جدوى اقتصادية من بيع الكتب المنشورة.

العقبة الرابعة هي عدم ترسخ حركة نقدية تواكب نشر الأعمال الأدبية، ومعظم ما يكتب يقوم به دارسون في الجامعات الفلسطينية.

*** كيف تنظر إلى الروايات الصهيونية الجديدة التي تحاول إظهار الرغبة في التعايش مع العرب، وأين يمكن تصنيفها..؟**

انقطعت عن قراءة روايات جديدة، ولا أستطيع الحكم عليها. لكن لا يمكن التعايش مع دولة مغتصبة لحقوقنا.

obeikandi.com

*** اعتمادك على أسلوب السرد اللاحق في بعض رواياتك يظهر وكأنك على علم كامل بتفاصيلها.. والسؤال: هل تكون " الحكاية " بكامل شخصياتها وتفاصيلها حاضرة في ذهنك..أم أنها تتشكل أثناء الكتابة..؟**

نعم. إلى حد كبير، فقبل كتابة الرواية أكون قد كتبتها في ذهني، من ناحية تسلسل الأحداث، والشخصيات التي سأتناولها، والطريقة الفنية التي سأتبعها هذه المرة، وهذا هو الذي يستغرق مني وقتاً. فإذا كنت قد شكلت البنية الأساسية في الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة، أكتب المخطوطة الأولى بكل يسر. هذا لا يعني أن كل التفاصيل تكون قد تكونت كما تنشر في الكتب، إذ يتم التغيير والحذف والإضافة أثناء الكتابة وقبل النشر بعد عرضها للقراءة على الزملاء والأصدقاء.

ربما ما ميزني في كتاباتي أني كتبت بعض رواياتي أثناء الحدث، كما في "الحاج إسماعيل" و "الحلم المسروق"، وهذا يعني أن التفاصيل يمكن إعادة صياغتها أثناء الكتابة وبعدها.

*** يلاحظ اتجاه في الرواية العربية الجديدة نحو الغوص في المحرمات الجنس والسياسة والدين.. هل تراها موضة أم ضرورة..؟**

هذا أمر مقرف، فالجاذبية في الرواية تأتي من خلال تناول الحدث دون افتعال، فإذا كان التعبير عن الحدث يأتي فقط من خلال هذه "المحرمات" فليكن، أما إذا كان من أجل اجتذاب الشباب لقراءتها فيصبح أمراً مقرفاً.

أما في تناول المحرمات بالشكل العام، فالروائي والكاتب، يتناول كل المواضيع، هو الذي يخترق الحدود، وهو الذي يبلط البحر، وهو

الذي يصنع من الهواء ما يشاء، لكن الهدف الأساسي هو تغيير طريقة تفكير الناس إلى الأحسن، أن ننهض بمجتمعنا ليصبح أفضل. إذا كان هذا هو الهدف فليس هناك موانع دون غلو ولا إسفاف.

obeikandl.com